

ثلاث عظات على عيد البشارة

البشارة بالتجسد الإلهي

للقدس غريغوريوس صانع العجائب

٢٠١٠

تعريب

القمص تادرس يعقوب ملطي
نادية أمين مرقس

كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس
الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: البشارة بالتجسد الإلهي للقديس غريغوريوس صانع العجائب.
المعرب: القمص تادرس يعقوب ملطي، نادية أمين مرقس.
الطبعة: ٢٠١٠
الناشر: كنيسة الشهيد مارجرس - سبورتنج.
المطبعة:
رقم الإيداع:

"السلام لك أيتها الممثلة نعمة. الرب معك"

تحية تبعث بها السماء إلى بني البشر في شخص القديسة الطاهرة مريم، يوم تنازل الابن الكلمة ليتجسد منها. ويصير كواحدٍ منّا، وأخًا بكرًا لجميعنا، وعريسًا لنا.

لقد سجّل لنا القديس غريغوريوس صانع العجائب في أسلوب تأملي مبسّط عظامه الثلاث عن كرامة البتول مريم بأسلوب لاهوتي دقيق، وعزّفنا كيف صارت للبشريّة كلها الكرامة في شخص والدة الإله، إذ هي واحدة منّا محتاجة مثلنا إلى الخلاص، لكنها فاقت الكل في حياتها والنعمة التي تمتّعت بها. وحدّثنا عن شخص السيد المسيح مركز حياتنا، الذي تجسّد لأجلنا.

الإله المتجسّد قادر أن يهبنا الشركة العميقة معه ببركات تجسّده وصلبه ويحفظنا بشفاعات وصلوات أمّه البتول القديسة مريم. آمين!

القديس غريغوريوس العجائبي^١

أسقف قيصرية الجديدة

كتب لنا عن حياته سميه القديس غريغوريوس أسقف نيصص، كما امتدحه القديس باسيليوس الكبير مُشَبِّهًا إياه في عجائبه بموسى النبي. إنه يُمثِّلُ الإنسان الذي في أعماقه يشتاق للحق، فلا يقبل الإيمان المسيحي فحسب، وإنما قبله بقوة في حياته ليحيا بروح إنجيلي رسولي، ومع قداسة حياته العجيبة عمل كاررًا بين الوثنيين بقوة فائقة. يكرمه الآباء الكبادوك في القرن الرابع، ويعتبرونه مؤسس كنيسة كبادوكيا.

توجد له خمس سير ذاتية تحتوي معجزات كثيرة حتى أنه دُعي بالعجائبي، ولكن أكثرها دقة تاريخية كانت التي كتبها غريغوريوس النيصي (PG ٤٦،٨٩٣-٩٥٨)^٢.

نشأته

وُلد حوالي عام ٢١٣م من أبوين ذوي شهرة وكرامة عالية، في قيصرية الجديدة في ولاية بنطس الكبادوكية. كان يُدعى قبل عماده ثيودور. وتتيح أثناء حكم أورليان *Aurelian* (٢٧٠-٢٧٥م). توفي والده وهو في الرابعة عشرة من عمره، لكنه أكمل تعليمه إذ كان محبًا للمعرفة ومشتاقًا إلى إدراك الحق، وكان مهتمًا بدراسة البلاغة والقانون.

كان ينوي الذهاب إلى بيروت من أجل مزيد من دراسة المحاماة في ٢٣٣م، ولكنه عدل عن ذلك وذهب برفقة أخته التي رافقت زوجها، الذي كان له مركزه في ولاية قيصرية فلسطين، وأيضًا معه أخوه أثينادوراس *Athenodorus*، الذي صار بعد ذلك أسقفًا واحتمل الكثير من أجل الإيمان بالسيد المسيح. هناك في قيصرية الجديدة كان العلامة أوريجينوس قد وصل وافتتح مدرسته بها، فحضر ثيودور (غريغوريوس) بدء افتتاحها، وعض توجهه إلى بيروت ليتعلم القانون ارتبط هو وأخوه بالعلامة أوريجينوس وأحباه جدًا إذ يقول: "أرشدنا ملاك الرب في طريق هذه الحياة، وربطنا بحبل المودة مع هذا الرجل العظيم، الذي منه سنستفيد جدًا، فأحسن استقبالنا مع عدم معرفته السابقة لنا، ومع كونه مسيحيًا، وأظهر لنا سرورًا كأننا أناس هداهم الله إلى أشراكه ليصطادنا ويربحنا للإنجيل وينقذنا من ظلام عبادة الأوثان".

على يدي العلامة أوريجينوس قبل الأخان الإيمان المسيحي، وأدركا أن الحق الذي يطلبانه لا يوجد في كتب الفلاسفة والفكر البشري المُجَرَّد، وإنما ننعم به خلال نور الإيمان وإعلانات الله الفائقة للنفس. وهكذا انضم الأخان إلى الموعوظين الذين يتلمذون على يدي العلامة أوريجينوس ويسمعون تفسيره للكتب الإلهية.

تتلمذ القديس غريغوريوس على يدي معلمه ودرسا على يديه الفلسفة واللاهوت لمدة خمس سنوات، وفي السنة ٢٣٨م عاد إلى مدينته "قيصرية الجديدة" بعد أن أنهى دراسته في فلسطين، وشكر معلمه علانية في مقال أمام حشد كبير، مادحًا إياه على لباقتة وحكمته التي بهما قاده في دراسته، كما بعث المعلم رسالة لتلميذه فيها يدعو ابنه المُكْرَم، حاثًا إياه أن يضرم كل مواهبه وطاقاته لحساب الرب، وأن ينتفع بما درسه من فلسفات في خدمة الإيمان وذلك كما استخدم العبرانيون ما أخذوه من المصريين في إقامة خيمة الاجتماع.

قيل إنه قبل ذهابه إلى بلده انطلق أولاً إلى الإسكندرية، ربما للاستزادة ببعض المعرفة من جهة الطب والفلسفة.

^١ عن القمص تادرس يعقوب ملطي: قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، الإسكندرية ١٩٨٦، حرف ا.

نظرة شاملة لعلم الباتولوجي في السئة قرون الأولى، فصل ٧.

^٢ Di Berardino, op. cit., p. ٣٦٨.

وقد اتسم بنقاوة وطهارة مع أنه لم يكن بعد قد نال سرّ العماد. قيل أن بعض الحاقدين أرادوا تشويه صورته، وإذ كان يتباحث مع بعض الوثنيين في أمور فلسفية دخلت عليهم امرأة زانية، ونظرت إليه علانية تطلب أجرتها، لتوحي للحاضرين أنه ارتكب معها الخطية، أما هو فلم يضطرب بل طلب من أحد الحاضرين أن يعطيها ما تطلبه. إذ أخذت الدراهم التي طلبتها دخلها روح شرير وصارت مُعذّبة جداً، فقام ثيودور (غريغوريوس) وصلّى من أجلها فخرج الروح الشرير، واعترفت أمام الحاضرين عن الذين حثوها أن تفعل هذا لإفساد سيرة هذا الرجل.

عماده

إذ عاد إلى مدينته نال سرّ العماد ودُعي غريغوريوس في المعمودية. انطلق إلى البرية يمارس حياة الخلوة والتأمل ودراسة الكتاب المقدس؛ غير أن القديس فيديموس أسقف أماسيا إذ سمع عنه اشتاق إلى سيامته أسقفاً على مدينة قيصرية الجديدة التي لم يكن بها من المسيحيين سوى ١٧ شخصاً. شعر القديس بذلك فهرب، لكن فيديموس وقد تمرّرت نفسه من أجل المدينة التي بلا رعاية وقف أمام الله بدموع يصرخ، إنه وإن كان قد عجز عن وضع الأيدي على غريغوريوس ليكون أسقفاً فليسمح الله ويقبله أسقفاً ويتصرف. إذ سمع غريغوريوس ذلك لم يحتمل الهروب فعاد يقبل الأسقفية. في حوالي ٢٤٠م سيم أسقفاً لقيصرية الجديدة.

أعماله الرعوية

إذ كان الأسقف الجديد سائراً في المدينة وجد هيكل وثن فدخله وصار يصلي طوال الليل، وفي الصباح إذ جاء كاهن الوثن وجد الشياطين قد هربت من الهيكل فتضايق جداً، وذهب إلى حاكم المدينة يشكو إليه أن مسيحياً دخل الهيكل وأخرج منه آلهتهم. وإذ سمع الأسقف بذلك التقى بالكاهن، وبدأ يحدثه عن الله الحقيقي، موضحاً له حقائق الإيمان. ولكن الكاهن طلب أن تعود آلهته إلى الهيكل، عندئذ كتب له القديس على ورقة، جاء فيها: "من غريغوريوس إلى الشيطان، يقول لك: "ارجع". وإذ حمل الكاهن الورقة إلى المذبح عادت الشياطين، وأدرك الكاهن تفاهة هذه الأرواح الشريرة فانطلق إلى القديس يطلب منه أن يعرفه بالحق، وبالفعل بشره بالإنجيل وأكد له ذلك بأن أمر باسم السيد المسيح أن تتحرك صخرة كانت أمامه فتحرّكت.

سمع الوثنيون في المدينة بما حدث فخرج الكثيرون يرحبون به، ويطلبون منه أن يكرز لهم، ولم يمض زمان طويل حتى آمن كثيرون من خلال عظاته وسيرته المقدسة في الرب، وأعمال الله العجيبة به التي حدثنا عن بعضها القديس غريغوريوس أسقف نيصص، كما قال عنه القديس باسيليوس الكبير: "خلال عمل الروح كان لغريغوريوس سلطان على الأرواح الشريرة، وقد حوّل مجاري أنهار باسم المسيح، وجفف بحيرة كانت علة نزاع بين أخين، وأنبأ عن أمور مقبلة متساوياً مع الأنبياء. هذه الآيات والعجائب رآها الأصدقاء كما أعداء الحق وكأنه موسى آخر".

يقول القديس غريغوريوس النيصي: "يستحيل علينا أن نورد كل عجائب هذا القديس، وإنما يكفي أن نقول أن بكلمة واحدة وبعلامة الصليب المقدس يشفي جموعاً من مرضى، لذا كان الجميع يحسبونه قديساً".

قيل إن يهوديين احتالاً عليه إما بقصد إفساد شهرته كصانع عجائب أو لاختلاس مالٍ منه، فتظاهر أحدهما كميت وطلب الثاني صدقة ليكفنه، فأعطاه القديس رداءه إذ لم يكن معه مال، ومضى الشاب يستهزئ بالقديس، وراح يقول لصديقه: انهض لنضحك على أسقف دعاه المسيحيون نبياً يصنع عجائب، غير أن الشاب وجد زميله قد فارق الحياة فعلاً.

اختيار الكسندر الفحام أسقفاً

جاء مجموعة من مدينة كومنا *Comona* يطلبون منه أن يختار لهم أسقفاً، مُقدّمين له مجموعة من الشرفاء العلماء جزلي الاعتبار، أما هو فقال لهم: "هذه السمات لا تكفي، بل الأجدر بكم أن تختاروا إنساناً قديساً حكيمًا". حينئذ

قال أحد الحاضرين إنه بهذا يجب أن يكون الكسندر الفحام أسقفًا، وكان هذا الرجل ماهرًا في الفلسفة لكنه تغرّب عن بلده وصار يعمل كفحّام، يحمل صورة المهانة، بعيدًا عن الأنظار. استدعاه القديس فجاء، وكانت ثيابه ووجهه ويداه قد تلوّثت بالفحم، مملوءة سوادًا، فصار الحاضرون يضحكون كيف يصير هذا الرجل أسقفًا، لكن إذ جلس مع القديس أدرك الكثير عن حياته، وبالفعل سيّم أسقفًا واستشهد في ١١ أغسطس.

كتب لنا القديس باسيليوس الكبير عن سمات هذا القديس، وقد تعرّف هو وأخوه غريغوريوس أسقف نيّصص على سيرته من جدتهما ماكرينا التي ربتها، وكانت ماكرينا قد تعرّفت عليه أيام الصبا وسمعت عظامه، فكانت تروي لحفيديها ما رأته فيه وسمعت منه، فقال القديس باسيليوس إنه في تقواه أظهر وقارًا عظيمًا واحتشامًا؛ لم يغط رأسه قط في الصلاة (ربما يقصد بأكاليل الأساقفة)، أحب البساطة والتواضع في كلماته. كان يكره الكذب والبطلان، لم يغضب قط، ولا حملت كلماته أو سلوكه مرارة!

في اضطهاد ديسيوس

حوالي سنة ٢٥٠م إذ التهب الاضطهاد في عهد ديسيوس (داكيوس *Decius*) نصح شعبه أن يختفي حتى لا يتعرّض أحد للضعف خلال الآلام فينكر إيمانه، وهو نفسه اعتزل في البرية ومعه فقط كاهن وثني قد قبل الإيمان على يديه وسامه شماسًا معه.

إذ سمع الوثنيون أنه مختفي في البرية أرسلوا جنودًا ليقبضوا عليه، لكنهم عادوا ليقولوا إنهم لم يجدوا في البرية سوى شجرتين. وإذ عادوا من جديد يفتشون عنه وجدوه مع شماسه يصليان، وقد ظهرا لهم من قبل كشجرتين. رأى القائد ذلك فأتى إلى الأسقف وخرّ عند قدميه، وأعلن إيمانه بالسيد المسيح، طالبًا منه أن يقبله معه في البرية. تعرّض الشعب للضيق، وإذ انتهى الاضطهاد، عاد القديس يمارس عمله الرعوي، كما عبّن أعيادًا للشهداء الذين كابدوا الآلام وقت الاضطهاد.

تعرّضت البلاد لوباءٍ مُعدٍ خطير، وبصلاة القديس شُفي الكثيرون وزال الوباء، فأمن كثير من الوثنيين بالسيد المسيح.

كانت ماكرينا الجدة ذات التأثير على كل من حفيديها القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس النيصي، تسير تحت إرشاد القديس غريغوريوس العجائبي.

أخيرًا فقد قيل إنه استلم المدينة بها ١٧ مسيحيًا، وعند نياحته سنة ٢٦٨م لم يكن بها سوى ١٧ وثنيًا.

عزل بولس الساموساطي

اشترك في المجمع الذي حكم بعزل بولس الساموساطي من شركة الكنيسة في حوالي ٢٦٤م.

يُعبد له الغرب في ١٧ نوفمبر، والكنيسة القبطية في ٢١ هاتور.

بركة صلواته تكون معنا آمين.

كتاباته

❖ مديح في العلامة أوريجينوس: خطبة ألقاها عند انتهائه من الدراسة ومغادرته مدرسة أوريجينوس في قيصرية فلسطين والعودة إلى بلده.

❖ قانون الإيمان أو بيان الإيمان: وهو عمل قصير، ولكنه يوضح صحة الإيمان الأرثوذكسي في الثالوث، ويعطي تعريفًا محددًا له. وكمثال نذكر منه:

يوجد رب واحد، إله من إله، ابن حق من أب حق... أبدي من أبدي. هناك يوجد ثالوث تام في المجد

والأزلية... ليس فيه شيء مخلوق أو في عبودية، ولم يُستحدث عليه شيء [لم يُصَف إليه]، كما لو كان في الزمان السابق غير موجود ثم في فترة متأخرة قُدِّم [أو أُدخِل بمعنى أضيف]. وهكذا فلا الابن أقل بالمرّة من الأب ولا الروح القدس من الابن^١.

- ❖ يوجد النص اليوناني لهذا القانون في السيرة التي كتبها غريغوريوس النيصي، وفي عدد كبير من المخطوطات. وموجودة منه أيضًا الترجمة اللاتينية لروفينوس (٢٦، ٧، *Hist. eccl.*)، وترجمة أخرى سريانية.
- ❖ ما يسمى الرسالة القانونية: موجهة إلى أسقف غير معروف كان أرسل للقدّيس غريغوريوس يستشير في بعض الأمور، وقد أخذت اسمها من كونها قد جُمعت ضمن مجموعة الرسائل القانونية للكنيسة اليونانية.
- ❖ *Metaphrase* لسفر الجامعة: صياغة أخرى للترجمة السبعينية لسفر الجامعة.
- ❖ في عدم قابلية وقابلية الله للتألم: رسالة وجهها إلى شخص يدعى ثيؤوبومبوس، وموجودة في ترجمة سريانية فقط. ذكر فيها أن الله (اللاهوت) لا يمكن أن يتألم ولكنه حر في قرارته. لكن ابن الله عندما تجسد، فبواسطة آلامه الإرادية في الجسد هزم الموت. فهو بحسب ناسوته يستطيع أن يتألم، ولكنه بحسب لاهوته هو غير قابل للألم.
- ❖ اثنا عشر مقالاً في الإيمان.
- ❖ في موضوع النفس.
- ❖ في جميع القديسين.
- ❖ أربعة عظات.
- ❖ في الإنجيل بحسب متى.
- ❖ إلى فيلاجريوس رسالة في المساواة في الجوهر، تتناول عقيدة الثالوث ويعتقد البعض صحة نسبتها إليه.
- ❖ إلى تاتيان رسالة أخرى في النفس.
- ❖ ٦ عظات محفوظة باللغة الأرمنية.

أعمال أخرى

- ❖ رسالة عامة تتناول مشاكل رعوية أثناء الغزو القوطي، مازالت موجودة.
- ❖ رسالة إلى المبشرين في كيفية شرح الترجمة السبعينية.
- ❖ يقول البعض إن بيان الإيمان المنسوب إليه بواسطة القديس غريغوريوس النيصي هو من تأليف النيصي نفسه.
- ❖ بعض الكتابات الأبولينارية المزورة كُتبت تحت اسمه.

^١ *ibid.*, p. ٧.

العظة الأولى

فرح لكل البشريّة

اليوم تتعنى الطغمة الملائكيّة بألحان التسابيح المفرحة. ويضيء نور البشارة بالمسيح متلاً على المؤمنين: اليوم هو ربيعنا المفرح، ويشرق شمس البرّ - المسيح - بأشعته الناصعة علينا، مضيئاً أذهان المؤمنين! اليوم يُشفى آدم متحركاً مع جوقة الملائكة طائرًا نحو السماء!... اليوم تضيء نعمة الله والرجاء في غير المنظور خلال المناظر السامية المدهشة، ويعلن بوضوح السرّ المكتوم منذ الأزل!

اليوم يتحقّق قول داود؛ لتفرح السماوات ولتبتهج الأرض، ليعج البحر وملؤه. ليجذل الحقل وكل ما فيه، لتترنّم حينئذ كل أشجار الوعر" (مز 96: 12-13). مشيراً إلى (البشر) بالأشجار، وقد تكلم سابق الرب (يوحنا) عنهم كأشجار يلزمهم أن "يصنعوا أثماراً تليق بالتوبة" (مت 3: 8)، أو بالأحرى يتحدّث عن مجيء الرب. غير أن ربنا يسوع المسيح يعد مؤمنيه بالسعادة الدائمة قائلاً: "ولكنني سأراكم أيضاً، فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو 16: 22). اليوم أعلن بوضوح سرّ المسيحيين... الذين بإرادتهم وضعوا رجاءهم في المسيح!

اختيار مريم

اليوم جاء جبرائيل - القائم أمام الله - إلى العذراء النقيّة حاملاً إليها البشارة السعيدة قائلاً: "السلام لك يا ممثلة نعمة" (لو 1: 28). وإذ فكرت ما عسى أن تكون هذه التحيّة، أجابها الملاك "الرب معك. لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنتِ ستحبلين وتلدن ابناً، وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العليّ يُدعى. ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟!" (لو 1: 29-34)

وإذ كانت في حيرة من جهة هذه الأمور، كشف لها الملاك ملخصاً للرسالة قائلاً للعذراء الطاهرة: "الروح القدس يحلّ عليك، وقوة العليّ تظلك، فذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله" (لو 1: 35). اختارت النعمة مريم العذراء دون سواها من بين كل الأجيال، لأنها بالحقيقة قد برهنت على رزانتها في كل الأمور، لم توجد امرأة قط مثلها في كل الأجيال.

إنها لم تكن مثل العذراء الأولى حواء، التي كانت في الفردوس لكن فكرها غير متزن. سمعت بغير حذر لكلمة الحيّة - مصدر كل شر - ففسدت أفكار ذهنها، وحملت بانخداعها سم (الانخداع) وموته المهلك إلى العالم كله. أما هذه فبفضيلتها رفعت مضايقات القديسين.

في العذراء القديسة وحدها أصلح سقوط هذه الأم الأولى، ومع ذلك فإنها لم تكن كفنّاً لتقبل العطية، ما لم تتعلّم أولاً من هو مرسل العطية؟ وما هي؟ ومن الذي جاء يبشر بها؟

وإذ كانت القديسة تتقبل هذه الأمور في حيرة، قالت للملاك:

"من أين أتيت إلينا ببركات مثل هذه الحكمة؟

من أي كنوز جئت لنا بهذه اللؤلؤة؟

من أين تتحقّق هذه العطية لنا؟

هل أتيت إلينا من السماء؟ لكنني أراك تسير على الأرض!؟

إن لك هيئة إنسان، لكنك مجيد بهذا النور الباهر!

لقد فكّرت في نفسها في هذه الأمور، وقد حلّ رئيس الملائكة لها صعوبتها قائلاً: "الروح يحلّ عليك، وقوة العليّ تظلك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله. فلا تخافي يا مريم فإنني لم أجيء لكي أرفعك، إنما لكي أنزع عنك موضوع خوفك.

لا تخافي يا مريم. لأنك وجدت نعمة عند الله. ولا تسألني عن النعمة حسب مقاييس الطبيعة، لأنها لا تخضع لها... أنت تعلمين يا مريم الأمور التي اختفت عن الآباء والأنبياء! أنت تعلمين أيتها العذراء ما كان مختوماً حتى الآن عن الملائكة! أنت تسمعين أيتها الطاهرة ما لم يكن يستحقّه طغمة الملهمين من البشر. فموسى وداود وإشعيا وداوود وكل الأنبياء تنبأوا عنه، لكنهم لم يعرفوا الوسيلة. أما أنت فوحديك أيتها العذراء الطاهرة. تتقبلين الآن الأمور التي كان يجهلها هؤلاء جميعاً... لأنه حيث يحلّ الروح القدس يكشف الأمور التي سبق تدبيرها. وحيث تكون النعمة الإلهية حاضرة، يكون كل شيء ممكناً بالله.

"الروح القدس يحلّ عليك، وقوة العليّ تظلك. لذلك المولود منك يدعى ابن الله" وإذ هو ابن الله، واحد مع الآب وسرمدي فيه يعلن الآب تماماً...

وكما أن الينبوع المتدفق ينبع مجاري مياه، هكذا أيضاً هذا الينبوع الدائم التدفق والدائم الحياة يفيض نوراً للعالم. نوراً دائماً وحقيقياً، يدعى "المسيح إلهنا"، هذا الذي بشرّ به الأنبياء "مجري الأنهار تُفرح مدينة الله" (مز ٤٦: ٤)... يفرح العالم كله.

لقد لاق بالملاك أن يقول لمريم العذراء القديسة: "السلام لك يا ممثلة نعمة الرب معك". إذ كان يلقي فيها كنز النعمة. وهي وحدها من بين كل الأجيال قامت كعذراء طاهرة جسداً وروحاً تحمل ذاك الذي يحمل كل الأشياء.

العذراء... والدة الإله

لقد خاطبها الملاك بهذه التحية: "السلام لك يا ممثلة نعمة الرب معك". الله بنفسه معك، وليس زوجاً أرضياً. معك إله التقديس، أب الطهارة، ينبوع عدم الفساد، واهب الحرية، خادم الخلاص، معطي السلام الحقيقي، هذا الذي خلق الإنسان من أرض عذراء، ومنه خلق له حواء.

هذا الإله معك وفي نفس الوقت (يتجسد) منك!

تعالوا يا إخوتي الأحباء، ولننتقل إلى اللحن الملائكي ونردّد بكل طاقتنا المديح اللائق، قائلين: "السلام لك يا ممثلة نعمة الرب معك". فإنه بالحقيقة لكم أن تفرحوا، ناظرين إلى نعمة الله التي اختارت أن تسكن بينكم. إذ يسكن (ابن) الله في عبده، هذا الذي "أبرح جمالاً من بني البشر" (مز ٤٥: ٢) يسكن في العذراء الحسنة، هذا الذي يقُدّس كل الأشياء.

السلام لك... معك مصدر النور الذي يضيء لكل المؤمنين به!

السلام لك... يا من يشرق فيك شمس البرّ وزهرة الحياة غير الدنسة!

السلام لك... يا روضة زكية الرائحة!

السلام لك... أيتها الكرمة دائمة الازدهار، التي تفرح نفوس من يكرمها!

السلام لك... أيتها التربة غير المفلحة، وأثمرت بوفرة. إذ أنجبت بطريق يفوق الطبيعة... فقد جعل الله الكلمة

الذي هو من فوق له مسكناً فيك.

وهكذا جاء آدم الثاني في الأحشاء المقدّسة، إذ وهبها الروح القدس قوة الحمل.

لقد اشتهى غاليّة الآباء الطوباويين وبطاركة وأنبياء أن يروه، لكنهم لم يحظوا بذلك.
فالبعض نظروه في رؤى خلال رموز وظلال. وآخرون تمتعوا بسماع الصوت الإلهي خلال السحاب...
أما مريم العذراء الطاهرة، فهي وحدها الذي أعلن لها رئيس الملائكة جبرائيل بنفسه بطريقة واضحة، مبشراً إيّاها
بالبشارة المفرحة... وهكذا تقبلت... وأنجبت اللؤلؤة كثيرة الثمن.

مريم... تابوت موضع قدس الله!

تعالوا أنتم أيضاً أيها الأحباء الأعزّاء نتغنّى بالأنشودة التي تعلّمنا إيّاها قيثارة داود الملهمّة قائلة: "قم يا رب إلى راحتك، أنت وتابوت موضع قدسك" (مز ١٣٢: ٨).
فالعذراء القديسة هي بحق تابوت، مغشّى بالذهب من الداخل والخارج، إذ قبلت كنز القداسة الكامل.
"قم يا رب إلى راحتك". قم من أحضان الأب (دون أن تنفصل قط عنه) حتى تقيم جنس البشر الساقط (يو ١٦: ٢٨).

قضيب من جذع ابن يسى!

وإذ يضع داود هذه الأمور في نبوّته، يقول للقضيب الذي يفرخ من نفسه، ويخرج زهرة الثمرة الجميلة. قائلاً:
"اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك. فإن الملك قد اشتهى حسنك. لأنه هو ربك وله
تسجدين" (مز ٤٥: ١٠-١١).
اسمعي يا ابنتي إلى ما قد تتبئ به قبلك حتى ترينها بعينيّ الفهم. أنصتي لي، فقد أخبرت عن هذه الأمور...
واسمعي لرئيس الملائكة، إذ يعلن لك الأسرار الكاملة بوضوح.
تعالوا أيها الأحباء الأعزّاء، استرجعوا ما سبق أن جاء قبل ذلك. ولنكرم ونمدح ونطوّب ذلك القضيب الذي نبع
هكذا بطريق عجيب من يسى. لأن لوقا في قصة إنجيله الموحى به لا يشهد من جهة يوسف فقط، بل ومن جهة مريم
والدة الإله، ذاكرًا هذه العائلة وبيت داود قائلاً:
"فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، لكونه من بيت
داود وعشيرته، ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى.
وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعت في المذود إذ لم يكن لهما موضع في
المنزل" (لو ٢: ٤-٧).

الطفل المولود!

لقد قمّطت ذاك الذي يغطيه النور كثوب (مز ٤: ١-٣).
لقد اضطجعت في مذود، ذاك الجالس على الشاروويم، ومجد من الطغمات الملائكيّة!
في المذود المخصص للحيوانات العجم اضطجع كلمة الله، ليقدّم للبشريّة التي صارت غير عاقلة بإرادتها بصيرة
العقل الحقيقي!
في الموضع الذي يأكل فيه القطيع، رقد الخبز السماوي لكي يقدّم قوتاً روحياً للذين يعيشون على الأرض
كالحيوانات.
لم يكن له مكان في المنزل، هذا الذي أسس السماء والأرض! وإذ هو غني افتقر! واختار تواضعاً عجيبيّاً من أجل
خلاص طبيعتنا، لكي نرث صلاحه، هذا الذي كمل كل برّ في أسرار تدبيره غير المنطوق بها!

في السماء كان في حضن الآب، وفي المذود استراح كما لو كان على الشاروبيم، كما لو أنه كان بالحق في
عرشه الشاروبيمي وعلى كرسي ملكه.
قدّوس القدّيسين، الممجد وحده على الأرض، كان هناك يستريح، المسيح إلهنا. له المجد والكرامة والقوة مع الآب
غير الفاسد ومع الروح القدس المحيي كلّ القداسة،
الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الثانية

تحية مفرحة لكل البشرية

يلزمنا أن نقدّم التسابيح الابتهاالية في الأعياد كتقدمات، وأولها في عيد بشاره القديسة والدة الإله، متأملين التحية التي أعلنها لها الملاك قائلاً: "السلام لك أيتها الممثلة نعمة".
هذه التحية (السلام لك) هي أول الحكم والتعاليم الإلهية التي وردت في العهد القديم، جاءت إلينا من أب الأنوار. وهذا الحديث: "ممثلة نعمة" عمّ كل طبيعة البشر، إذ بشر الملاك قائلاً: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لكل الشعب" (لو ١٠: ٢).

ويقول الرب الذي جاء ليتم الآلام المخلصة: "لكني سأراكم أيضاً، فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو ١٦: ٢٢). وبعد قيامته وهبنا هذه التحية... "سلام لكم" (مت ٢٨: ٩).
وينطق الرسول بعبارات مشابهة قائلاً: "افرحوا كل حين" (١ تس ٥: ١٦)....
انظروا أيها الأعزّاء المحبوبين، كيف يمنحنا الرب في كل موضع الفرح الدائم غير المدرك.
فإذ كانت العذراء الطاهرة تحيا في حياة نقيّة. وتسلك في كل الفضائل، وتعيش في حياة أسمى من غيرها، لهذا أخذ المولود من الله الأب لنفسه منها جسداً، حتى يدين الخطية في الجسد، ويهزم الشيطان المجرب، معلناً بداية القيامة، وتأسيس الحياة الأبدية، ونشأة الصداقة بين الناس والآب...

القديسة مريم في حيرة!

لنعد إلى موضوعنا، فقد أرسل جبرائيل إلى القديسة العذراء.
غير الجسدي قدّم تحية لمن هي في الجسد: "السلام لك يا ممثلة نعمة، الرب معك".
السلام لك... لأنك بالحق مستحقّة للفرح، إذ لبست ثوب النقاوة، وتمنطقت بمنطقة الرزانة.
السلام لك... لأن نصيبك هو مركبة الفرح السماوي!
السلام لك... لأنه خلالك صار الفرح للخليقة كلها، وعن طريقك استردت البشرية كرامتها الأولى.
تحيرت من هذه الكلمة، إذ لم يكن لها خبرة في مخاطبة الرجال، لكنها كأماً للرزينة والنقاوة والظاهرة استقبلت الكلمة بهدوء.

إنها لم تضطرب من الرؤيا الملائكية كغالبية الأنبياء.. لأن البتولية الحقيقية فيها نوع من المساواة والمساوية مع الملائكة، إذ حافظت مريم على شعلة البتولية وثابتت حتى لا تنطفئ أو تنسخ.
إنها تشبه إنساناً يرتدي لباساً لامعاً، يخشى أن يمسه وسخ. لهذا (ربّما) تساءلت:
هل يحوى هذا العمل في طياته غرضاً مخادعاً؟!
هل تحوى كلمة "سلام" ما حواه الوعد المعسول الذي قدّمته الحية المخادعة مؤكّدة لأمتنا الأولى أنهما (هي وآدم) يكونا كالله؟

ألعله يكون قد حقد على خطيبي بسبب عقته العجيبة. وإذ عجز بكلماته المعسولة أن يغلب عقله الثابت. وفشل في خداع الرجل، حوّل هجماته عليّ لأنني أكثر منه تأثراً؟!
هل تحمل كلمة "سلام" خسارة مقبلة؟!
هل تحوي تلك البركة الممنوحة والتحية المقدّمة استهزاءً؟
أخطأ في العسل سمّاً؟!...

وكيف يقدّم تحية لمن لا يعرفها؟!

كرامة العذراء مريم

هذه الأمور حيرتها، لهذا خاطبها رئيس الملائكة بإعلان مفرح لا ينزع... قائلاً:
"لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله..."
إنني لا أخبرك فقط ألا تخافي، لكنني أقدم لك المفتاح الذي ينزع عنك كل أسباب الخوف.
فخلالي تقدم كل الطغمة السمائية السلام، يا أيتها العذراء القديسة.
نعم، بل ورب الطغمة السمائية ورب كل الخليقة هو بنفسه اختارك، لأنك قديسة صالحة، وخلال قداسة أحشائك
وطهارتها ونقاوتها يولد "اللؤلؤة المضيئة" من أجل خلاص العالم كله.
إنك من بين كل جنس البشر طاهرة منذ ميلادك¹. مكرمة جداً، طاهرة أكثر من الجميع.
لك ذهن أنصع من الثلج، وجسدك أظهر من الذهب.
وأحشائك رآها حزقيال، فوصفها قائلاً: "وعلى رؤوس الحيوانات شبه قصب كمنظر البلور الهائل، منتشراً على
رؤوسها فمن فوق... ومن فوق القبة الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق، وعلى شبه العرش
كمنظر إنسان عليه من فوق."
ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخله من حوله" (حز ١: ٢٢ ، ٢٦-٢٧).
رأى النبي المولود منك أيتها العذراء القديسة خلال الرمز بأية كلمات يمكننا أن نعبر عن كرامة بتوليبتها؟!
بأية علامات نكرم مثلها الطاهر؟!
بأية أنشودة روحية تبجل تلك التي هي أمجد من الملائكة؟!
إنها مزروعة في بيت الله كشجرة الزيتون المثمرة. ظللها الروح القدس، وعن طريقها² دُعينا أبناء وورثة ملكوت
المسيح!

هي فردوس غير فاسد دائم الازدهار، فيه زرعت شجرة تتعش كل ثمار الخلود!
هي مجد العذارى، وفخر الأمهات!
هي المعين الأكيد للمؤمنين (بصلواتها)، ومثال الأتقياء!
هي ثوب النور، ومسكن الحق!
هي مقام البرّ، فكل من يحبها ويتأثر بتوليبتها النقية الطاهرة، يتمتع بنعمة أولاً!

كيف نعيد البشارة

فمن يتمتع عن شرب الخمر والمسكر وكل ملذات الشرب سيفرح ببركات هذا النبات الحامل للحياة!
ومن يحفظ سراج البتولية غير منطفئ يستحق أن ينال إكليل الخلود الذي لا يذبل!
من يحفظ نفسه بثوب العفة غير الدنس، يؤخذ إلى جمال البرّ السري!
من يقترب من الدرجة الملائكية أكثر من غيره، يتمتع حقاً بالجمال الإلهي!
من له زيت إضاءة الفهم، وبخور الإدراك النقي، يرث وعد الكرامة الروحية والتبني الروحي!
من يلاحظ عيد البشارة كما ينبغي يتمتع ببركات الرسالة الكاملة كجزء له. لهذا يلزمنا أن نحفظ العيد، ناظرين

¹ منذ ميلادها لم تخطئ مريم، لكنها ككل البشر مولودة بالخطية الجديدة ومحتاجة إلى الخلاص... وهذا ما يعلنه القديس في نهاية العظة الثالثة.

² لأن البتولة والميراث باستحقاق ابنها المولود منها.

إلى أنه ملأ العالم كله بالفرح والسعادة، لنحفظه بمزاميره وتسابيح وأغانيه الروحية. فقد حفظ إسرائيل أعياده في القديم (ويسبب شره) يقول لهم النبي: "وأحوّل أعيادكم نوحًا، وجميع أغانيكم مراثي" (عا ٨ : ٥). أما نحن فيؤكد الرب أنه يحوّل أحزاننا إلى فرح بثمار التوبة...

بالبشارة تكشف مفاهيم الكتاب المقدس!

في بشارة مريم الممثلة نعمة، ظهر بداية كل البركات... إذ أشرقت علينا أشعة أنوار الفهم، وأثمرت لنا ثمار الكلمة والخلود، مرسلّة لنا مجاري التقوى الطاهرة الواضحة، وصار لنا كنز المعرفة الإلهية المتلألئ السامي. وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك يسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ٣: ١٧). وأيضًا "فتشوا الكتب، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة الأبدية" (يو ٥ : ٣٩).

لقد انكشف كنز معرفة الله للباحثين في أقوال الله. هذا الكنز هو الكتاب المقدس الموحى به. الذي كشفه لنا الباراقليط اليوم... لأنه بدون الناموس والأنبياء أو الإنجيليين والرسل لا يمكن أن يكون لنا الرجاء الأكيد. إذ يتكلم ربنا على لسانهم ويجد لذة في الحديث على لسانهم، ليس لأنه محتاج إلى متكلمين، إنما لذته هي في الأمور الصالحة. إنه لا ينتفع شيئًا من الناس، لكن يجد راحة في نفس الإنسان البار.

لهذا متى قرأ الإنجيل أو الرسائل فلا تركّز اهتمامك على الكتاب أو القارئ، بل على الله الذي يخاطبك من السماء.

فالكتاب ليس إلا الشيء المنظور، بينما موضوع الحديث الإلهي هو "المسيح".

فالكتاب المقدس يجلب لنا البشائر السارة الخاصة بتدبير المخلص المستحقة كل مديح. حتى ندرك أنه وهو الله، صار إنسانًا من أجل محبته للبشر، من غير أن يفقد كرامته الأزلية. وحتى ندرك أنه قد قام بيننا كطبيب بين المرضى. هذا الذي لا يشفيهم بجرعة دواء، بل ببذل ذاته عنهم بإرادته.

وحتى ندرك أنه قد كشف طريق الخلاص للضالين عنه. وأعلن للبائسين نعمة الخلاص التي تهب بركة للجميع بكل الطرق، وتبحث عن التائبين، وتضيء للعميان، وتقيم الأموات، وتعتق العبيد، وتحرر المأسورين، وتعمل كل شيء من أجل أن نكون في طريق الخلاص الحقيقي. وقد صنع هذا كله ليس من أجل برّ فينا، بل من قبيل حنوه اللائق بمخلصنا. لأنه لم يفعل هذا من أجل نفع خاص به، بل لكي يهبنا الحياة الأبدية.

قصة التجسد الإلهي والخلاص

خلق الله الإنسان على صورته، وأسكنه في فردوس النعيم، لكنّه بغواية الشيطان عصى الأمر الإلهي، فاستحق الموت، وشاركه نسله في المسؤولية. وصاروا هم أيضًا تحت الحكم. "لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى" (رو ٥ : ١٤) أما الرب ففي حنوه على البشرية، إذ رأى كيف خضعت صنعة يديه لسلطان الموت، ولم يحوّل نظره عنها نهائيًا، وإنما كان يفتقدها في كل جيل. فأعلن عن نفسه بين الآباء الأولين، ثم كشف في الناموس وجاء بتشبيهاً خاصة به في الأنبياء، مشيرًا إلى تدبير الخلاص، وفي ملء الزمان لظهوره المجيد، أرسل رئيس الملائكة جبرائيل، حاملاً البشرى السارة للعدراء مريم. نزل إليها من بين القوات غير المنطوق بها وخاطبها: "السلام لك أيّها الممثلة نعمة". وفي وقت التحية حلّ الروح القدس عليها ودخل إلى هيكلها غير الدنس.

بلياقة أرسلت النعم إلى العذراء القديسة، والاسم الذي أعطي لها كان ملازمًا لها. فقد كانت تدعى "مريم" الذي تفسيره "الاستنارة illumination" وأي شيء أكثر إضاءة من نور البتولية (العذراوية).

لهذا السبب دُعيت الفضائل "عذارى" بواسطة الذين يجاهدون قانونيًا ليلبغنا غالبًا بطبيعتها الحقّة. ولكن إن كان هكذا هو أمر مطوّب للغاية تمتلك قلبًا بتولاً (عذري)، فكم يكون بالأكثر حينما يكون الجسد الذي

يطلب عذرية أو بتولية الروح هو بنفسه أيضًا بتولاً؟!!

هكذا كانت القديسة العذراء التي وهي في الجسد تحتفظ بحياة غير فاسدة، تقبلت بإيمان ما أعلنه لها رئيس

الملائكة؟

لقاء مع اليصابات

بعد ذلك سافرت بمثابة إلى اليصابات قريبتها في الجبال "ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات" ممثلة في ذلك بالملاك "فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتألت اليصابات من الروح القدس" (لو ١: ٤١-٤٢).

كهذا كان لصوت مريم قوة فامتألت اليصابات بالروح القدس. ولسانها كما من ينبوع متدفق أخرجت مجاري عطايا سماوية عن طريق تنبؤها لقربيتها. وبينما كان جنينها في أحشائها مربوط القدمين تهلل راقصًا. إنه تهليل عجيب، لأنه أينما حلت هذه الممثلة نعمة تملأ كل شيء بالفرح.

"وصرخت (اليصابات) بصوت عظيم، وقالت: مباركة أنت في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك، فمن أين لي أن تأتي أم ربي إلي" (لو ١: ٤٢-٤٣).

لأنك صرت للنساء بداية الخليقة الجديدة.

وهبتي لنا جرأة للوجود في الفردوس، وصار لنا أن نحارب عدونا القديم، لأنه لم يعد بعد جنس النساء موضوع عار. وليس لهن أن يخفن من اللعنة القديمة...

فقد جاء من أحشائك المقدسة المسيح فادي جنسنا ومخلص كل البشرية، آدم الروحي، الشافي جراحات الخليقة الأرضية.

"مباركة أنت في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك". لأن هذا الذي يحمل لنا كل البركات حسب ثمرة منك.

تسبحة العذراء

هذا أيضًا لا نستشفه من كلمات العاقر وحدها، بل عبرت عنه العذراء القديسة أيضًا بوضوح، عندما قدمت لله تسبحة مملوءة شكرًا وتسليمًا ومعرفة إلهية!

فقد تحدثت عن الأمور القديمة وما تحقق في ملء الزمان، موجزة في حديثها عن أسرار المسيح. "فقال مريم تعظم نفسي الرب، وتبتهج روعي بالله مخلصي... ليذكر رحمة كما كلم آباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد" (لو ١: ٤٦)...

ها أنتم ترون كيف سمّت العذراء القديسة على كمال الآباء. وثبتت العهد الذي أقامه الله مع إبراهيم قائلاً له: "علامة عهد بيني وبينكم" (تك ١٧: ١١).

لقد جاء مثبتًا العهد الذي مع إبراهيم، الذي تم بطريقة سرية في علامة الختان، مؤكدًا أن فيه كمال الناموس والأنبياء.

رددت القديسة والدة الإله هذه التسبحة النبوية، قائلة: "تعظم نفسي الرب، وتبتهج روعي بالله مخلصي، لأن القدير صنع بي عظام، واسمه قدوس"، فقد جعلني والدة الإله. وحفظني عذراء، وبواسطة أحشائي تتجمع كل الأجيال للتقديس، فهو الذي يبارك الكل، الرجال والنساء، الشبان والصبيان والشيوخ.

"صنع قوة بذراع"، لأجل نفعنا نحن ضد الموت والشيطان، ممزقًا صك خطايانا.

"شنت المستكبرين بفكر قلوبهم"، نعم لقد شنت إبليس وكل جنوده، لأنه متعجرف في قلبه. إذ يتجاسر فيقول: "أصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل العلي" (إش ١٤: ١٤). ويظهر النبي كيف قد شنت الآن وذلك بقوله: "لكنك انحدرت إلى الهاوية" (إش ١٤: ١٥)، أنت وكل جنودك. فقد أطاح الرب بالمذابح والعبادات الباطلة، وجعل لنفسه شعبًا

من بين الأمم عابدة الوثنية.

"أُنزل الأعرّاء عن الكراسي، ورفع المتواضعين". هذه العبارة تشير باختصار إلى انحدار اليهود وضَمّ الأمم في الإيمان. لأن شيوخ اليهود وكتبة الناموس والذين تتعمّوا بفيضٍ من النعم، استخدموا ما نالوه استخدامًا شرييرًا. واستعلّوا سلطانهم بطريقٍ غير مشروع. لذلك أنزلهم الرب عن كراسيهم، نازعًا عنهم النبوة والكهنوت والتشريع والتعليم، ففقدوا ميراثهم الأبوي، وذبائحهم وأعيادهم المتعدّدة وكل الامتيازات... وعضًا عنها ارتفع المتواضعون، أي شعوب الأمم المتعطّشة للبر. فإنها إذ كانت تعرف انحطاطها وجوعها نحو معرفة الله، التمسّت الكلمة الإلهية. ولو لتتال الفتات، كما فعلت المرأة الكنعانية (مت ١٥ : ٢٨). لهذا امتلأت بغنى الأسرار الإلهية.

"عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة"، لكن ليس إسرائيل بصورة عامة بل "فتاه" (أي الذي قبل الإيمان بالمسيح وصار مسيحيًا ولم يعد بعد يهوديًا).

"كما كلّم آباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد". في هذه الكلمات القليلة تفهم كل أسرار التدبير. لأنه من أجل خلاص جنس البشر وتحقيق المواعيد التي أعطيت لآبائنا طأطأ (الابن الكلمة) السماوات ونزل" (مز ١٨ : ٩). وهكذا أظهر لنا ذاته بالقدر الذي يمكننا أن نتقبّله، حتى نستطيع معاينته والإمساك به، والسماع لصوته. لهذا فإن الله الكلمة أخذ لنفسه جسدًا وصار له ناسوتًا كاملًا من امرأة. القديسة العذراء، وولّد كإنسان ليفي عنّا الدين، ويحقّق نواميس وعده مع إبليس وما احتوته (أسرار) طقوس الختان، وكل الأمور المتعلقة بالوعد.

وبعد ما نطقت العذراء القديسة بهذه الكلمات ذهبت إلى الناصرة، ثم عادت إلى بيت لحم حسب قانون قيصر. وهكذا جاءت إلى بيت داود الملكي مع يوسف زوجها. وهناك تمّ السرّ الذي يعلو فوق كل العجائب، إذ أنجبت العذراء، وحملت في يديها حامل الخليقة كلها.

الطفل المولود

"ثم يكون لهما موضع في المنزل" (لو ٢ : ٨). لم يكن له موضع هنا الذي أوجد كل الأرض...

وكانت تقوته باللبن الذي يقول الكل ويهب حياة لكل كائن حي.

وقمّطت بالخرق ذلك الذي يصون المسكونة كلها...

وأضطّجت في المذود، الجالس فوق الشاروبيم (مز ١٨٠ : ١).

أشرق نور سماوي حول ذلك الذي يضيء المسكونة كلها.

جنود السماء أسمعته التسابيح، هذا الممجّد في السماء من قبل الدهور.

نجم بضياؤه قاد الآتين من بلاد بعيدة إلى ذلك الذي افتقر من أجلنا!

أما والدة الإله، فحفظت هذا الكلام وخبّأته في قلبها، كمن يتقبّل كل الأسرار...

إن مدحك أيتها العذراء فائقة القداسة، يفوق كل مديح بسبب تجسّد يسوع ربنا الذي له مع الروح القدس والآب

المجد، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

^١ هذا يكشف لنا عن نظرة الكنيسة الأولى لإسرائيل. فإن الشعب اليهودي لم يعد بعد "إسرائيل". وصارت كلمة "إسرائيل" الواردة في الكتاب على ضوء العهد الجديد هم المؤمنين بالرب يسوع... أما رافضيه فصاروا مرفوضين.

العظة الثالثة

مرة أخرى تقدم لنا بشائر الفرح السعيدة، وأحاديث الحرّية والشفاء والوعد بالسعادة، والعتق من العبوديّة... الملاك يتحدّث مع المرأة، حتى لا يعود الشيطان يتحدّث بعد مع المرأة.

إرسال رئيس الملائكة

قيل: "وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله... إلى عذراء مخطوبة لرجل" (لو ١: ٢٦-٢٧).

أرسل جبرائيل ليُعلن الخلاص للعالم كله.

أرسل جبرائيل ليحمل إلى آدم علامة شفاؤه.

أرسل جبرائيل إلى عذراء، ليحوّل خزي جنس النساء إلى كرامة.

أرسل جبرائيل لكي يعد حبال العريس الطاهر.

أرسل جبرائيل لكي يخطب الخليقة مع الخالق.

أرسل جبرائيل إلى القصر الحي لملك الملائكة.

أرسل جبرائيل إلى عذراء مخطوبة ليوسف، لكنها محفوظة ليسوع ابن الله.

الخادم غير الجسدي أرسل إلى العذراء الطاهرة.

النور أرسل ليُعلن عن شمس البرّ، والفجر بزغ قبيل النهار!

جبرائيل أرسل ليُعلن عن من هو في حضن الأب وفي نفس الوقت يكون بين أذرع الأم... ذلك الذي في العرش

وفي نفس الوقت في المغارة.

لماذا تجسّد من عذراء مخطوبة؟

في الشهر السادس أرسل جبرائيل إلى عذراء مخطوبة لرجل، لكنها لم تتحدّ معه، إنها مخطوبة لكنها لم تُمس.

ولماذا كانت مخطوبة؟ حتى لا يدرك الشرير (الشيطان) السرّ قبل الأوان. فقد كان عارفاً أن "الملك" سيأتي من

عذراء، إذ سمع ما جاء في إشعياء: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً" (إش ٧: ١٤). وكان يهتم أن يعرف العذراء ويهتمها

بالعار. لهذا جاء الرب من عذراء مخطوبة حتى يُفسد حيل الشرير، لأن المخطوبة مرتبطة بمن سيكون زوجها.

"في الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك... إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف". اسمع ما

يقوله النبي بخصوص الرجل والعذراء: "كلام السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة" (إش ٢٩: ١١) ماذا يعني

بالسفر المختوم إلا العذراء الطاهرة، ومن الذي أعطى السفر؟ الكهنة طبعاً! ولمن؟ ليوسف. إذ خطب الكهنة مريم ليوسف،

بكونه إنساناً متزناً، وجعلوها في عهده حتى يحين موعد الزواج، وقد لاق به أن يحفظ عذراويتها، وذلك كما سبق أن أعلن

النبي منذ زمن طويل قائلاً: "كلام السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة"... وأن الرجل يقول: "لا أستطيع قراءته".

ولماذا لا تستطيع يا يوسف؟ "لا أستطيع لأنه مختوم".

ولمن قد ختم؟ مختوم كمكان لإقامة خالق المسكونة...

أحاديث بين الله والملاك

في الشهر السادس أرسل جبرائيل إلى عذراء، إذ تقبل مثل هذه التعليمات.

"تعال هنا الآن يا رئيس الملائكة، ولتكن خادماً لسرّ خطير مخفي..."

لقد دفعني حتوي أن أنزل إلى الأرض، حتى أنقذ آدم المفقود، لأن الخطية أهلك المخلوق على صورتي،

وأفسدت عمل يدي، وشوّت جمال ما أوجدته.

هوذا الذئب يفترس غنمي، وبيت الفردوس مخرب، وشجرة الحياة محروسة بسيف من نار، ومواضع السرور قد أغلقت... وأنا أرغب في أن أمسك بالعدو.

ومع ذلك فإنني أريدك أن تحفظ هذا السرّ الذي ائتمنتك عليه وحدك، إذ لا يزال مخفيًا عن بقية القوّات السمائيّة. لذلك اذهب إلى العذراء مريم. أعبّر إلى هذه المدينة الحيّة التي تكلم عنها النبي قائلًا: "أعمال مجيدة قد قبلت عنك يا مدينة الله" (مز ٨٧: ٢).

تقدّم إذن إلى فردوسٍ عاقلٍ، تقدّم إلى باب المشرق... إلى مكان حلولي حيث يستحق كلمتي... إلى السماء الثانية التي على الأرض، إلى السحابة المنيرة، وأخبرها عن مجيئي. تقدّم إلى المعبد المهيأ لي، إلى ردهة تجسدي، إلى الحجال النقي الذي لميلادي بالجسد، تحدّث في أذني تابوتي العاقل...

اهتم بالطريقة التي تُحدّث بها الهيكل، وأعطها السلام بصوت مفرح، مخاطبًا إيّاها: "السلام لك يا ممثلة نعمة". سمع رئيس الملائكة هذه الأمور، وتأمّل فيها، وهو يفكر ويقول: "عجيب هو هذا الأمر"، ويفوق كل فهم ذلك الذي نطق به! كيف يؤكّد ذلك الذي يهابه الشاروبيم، ولا يقدر أن يتطلّع إليه السيرافيم، ولا تدرّكه القوّات السمائيّة. علاقته من جهة عبدة! هل يعلن عن ظهوره الشخصي؟ نعم، أن ذاك الذي دان حواء يسرع في إعطاء الكرامة لابنتها... لكن هل تقدر الأحشاء أن تحوي غير الموحى؟! حقًا إنه لسرّ مهيب!"

وبينما كان الملاك منهمكًا في مثل هذه الأفكار، قال له الرب: "لماذا أنت مضطرب وقلق يا جبرائيل؟! ألم تُرسل من قبل إلى زكريّا الكاهن؟! ألم تبعث إليه ببشائر مفرحة خاصة بميلاد يوحنا؟! ألم توقع على الكاهن الشاك عقوبة الصمت؟! ألم تحمل العاقر؟!... هل يوجد شيء غير مستطاع لديّ أنا خالق الكل؟! ألعك أنت أيضًا تشك؟!"

فماذا أجابه الملاك؟ إنه يقول: "إن شفاء فساد الطبيعة، ونزع الآفات الشريرة، واستدعاء الأعضاء المميّنة لقوّة الحياة، ونزع العقر عن الأعضاء التي تعدّت حدود الزمن الطبيعي، وتغيير الشيوخ - العود اليابس - ليكون حيًا نشيطًا، وإنتاج حنطة في أرض يابسة للحال... هذه جميعًا تستلزم قوتك... وها هي سارة ومن بعدها رفقة وأيضًا حنة، هؤلاء يشهدوا بعد ذلك، إذ رُبطوا بمرض العقر، فوهبت لهم البرء منه. أما أن العذراء تلد من غير أن تعرف رجلاً، فهذا فوق حدود كل قوانين الطبيعة. ومع هذا فأنت تعلن عن مجيئك لعبدة! السماء والأرض لا يسعانك، فكيف تسعك أحشاء العذراء!؟"

يجيبه الرب: نعم بالتأكيد لو أن النار التي كانت في البرية أحرقت العليقة، لأمكن أن يكون مجيئي مضرًا لمريم، ولكن إن كانت تلك النار التي ترمز لمجيئي _ نار اللاهوت السماوي - محيية للعليقة وليس حارقة لها، فماذا تقول عن الحق الذي ينزل لا في لهيب نار بل "ينزل مثل المطر" (مز ٧٢: ٦).

لذلك قدّم الملاك نفسه لحمل الرسالة، وتوجه إلى العذراء، وخاطبها بصوت جهوري قائلًا: "السلام لك يا ممثلة نعمة، الرب معك. لا يعود بعد الشيطان يضايقك. لأنه إذ أصابك العدو بجرح^١ منذ القديم، جاء الآن يعلن الطبيب لكي يخلّصك. فقد جاء قبلاً "الموت". والآن يعلن "الحياة" دخوله. بامرأة جاء فيض السرور، وبامرأة تبعث علينا البركات".

السلام لك... فإنك قد صرت والدة الديان والمخلص في نفسه الوقت.

السلام لك أيّتها الأم الطاهرة للعريس الذي يفتقر إليه العالم.

السلام لك يا من سقطت في الموت الذي جلبته أمك (حواء)... هوذا أنت هيكل الله الحي!

^١ يظهر من هذين النصين رأي الكنيسة الجامعة أن العذراء مريم كسائر البشر ساقطة تحت حكم الموت ومحتاجة إلى الخلاص، بسبب الخطيئة الموروثة من آدم.

وإذ الأمور هي هكذا، لذلك فخلالها جاء الطبيب غالبًا المرضى، شمس البرّ إلى الجالسين في الظلمة... فإنه هو سلامنا (أف ٢: ١٤). السلام الذي يوهب، لكي ننال جميعنا السرور، بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والكرامة والسلطان، الآن وإلى دهر الدهور. آمين؟

٧ "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك"

٨ **القديس غريغوريوس العجائبي**

نشأته، عماده، أعماله الرعوية، اختيار الكسندر الفحام أسقفًا، في اضطهاد ديسيوس، عزل بولس الساموساطي، كتاباته، أعمال أخرى.

١٩ **العظة الأولى**

فرح لكل البشريّة، اختيار مريم، العذراء... والدة الإله، مريم... تابوت موضع قدس الله!، قضيب من جذع ابن يسى!، الطفل المولود!

٢٨ **العظة الثانية**

تحية مفرحة لكل البشريّة، القديسة مريم في حيرة!، كرامة العذراء مريم، كيف نعيّد البشارة، بالبشارة تكشف مفاهيم الكتاب المقدس!، قصة التجسد الإلهي والخلص، لقاء مع الیصابات، تسبحة العذراء، الطفل المولود.

٤٢ **العظة الثالثة**

إرسال رئيس الملائكة، لماذا تجسد من عذراء مخطوبة؟، أحاديث بين الله والملاك.